صوت المرأة المسلمة

العدد : ٢٠٦ الموافق في شوال ١٤١٩ هجري ٢ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : صورة من واقع	بقلم : محمد بن محمود

قادتني بعض المصالح إلى إحدى المدن الأوربية، وطال السفر إلى أن أطل يوم الجمعة ، رتبت أعمالي على أن أكون في وقت الصلاة في مكان يتكاثر فيه المسلمون ويوجد فيه مسجد ، وأكرمنا الله بذلك ، كانت زوجتي ترافقني ، وما أن وصلنا إلى المسجد حتى بادرت بالسؤال : أين المكان المخصص للنساء ، فكان الجواب : لا يوجد في هذا المسجد مكان للنساء ، ولكن بإمكانك الاتجاه إلى مسجد آخر قريب من هنا ووُصف لي الطريق ، فاتجهنا إليه وعند الباب أعدت نفس السؤال ، فوصفوا لي مكانا يكاد يكون مهجورا ، ثم سألت من جديد : وأين ميضأة الأخوات فقيل لي: لا يوجد ذلك في هذا المسجد وبصيغة أفهمني صاحبها بأني أطلب الكثير.

لقد مر على هذه القصة شهور لكنها لم تفارقن ي، وفي الأيام الماضية أحيت ذكراها " حادثة " أخرى :

بلغني بأن أحد مساجد المدينة التي أقيم فيها ينظم دروسا لتحفيظ القرآن **للناشئة فأ**سرعت لتسجيل ابنتي، وبعدما أمليت الاستمارة المطلوبة وقدمتها للقائم على هذا النشاط نظر فيها ورفع رأسه مبتسما متحرجا وقائلا: عفوا يا أخي هذه الدروس مخصصة للذكور.

عجز قلمي هذا عن وصف مدى حزني لهاتين الحادثتين وكانت النية بعد سردهما التذكير بواجب الرجل نحو المرأة والبنت المسلمة وواجب المرأة نحو الرجل وتوضيح مكانتها في الإسلام، إلا أني بعد ذلك سألت نفسي: هل أغفلت المكتبة الإسلامية هذا الأمر؟ هل أغفله الدعاة للإسلام وعلماء الأمة قديما وحديثا ؟ طبعا الجواب بالنفي. فلا يكاد يختلف اثنان من العاملين للإسلام على أهمية دور المرأة في بناء مستقبل أفضل للمسلمين في كل مكان، ولا يكاد يخلو محفل زواج من حديث على وجوب اختيار الزوجة الصالحة لضمان التربية الصحيحة، ولا يكاد ولا يكاد .... أما عن عدد الصفحات التي كتبت في موضوع المرأة في الإسلام وعدد الخطب التي ألقيت فلا سبيل لحصرها. وبذلك من حيث الجانب النظري يكون الموضوع في خطوطه العريضة على الأقل قد أشبع بحثا، ولكن من جانبه التطبيقي وبلورة الأفكار إلى برامج عمل لا يزال في حاجة إلى إعادة نظر وتقييم وتصويب، وإلا كيف يصل الأمر إلى إغفال توفير مكان مناسب للمرأة في المسجد وتهميش تربية وتنشئة البنت المسلمة وتعليمها كتاب الله . لقد ذم القرآن الكريم الانفصام بين القول والعمل، وقرنت العقيدة الإيمان بالعمل، فلا يمكن

للمسلم أن يؤمن بشيء ويقرر أهميته ويجعله اساسا من أسس نجاح أعماله ثم يغفل تطبيقه، وهذه هي حقيقة (ما وقر في القلب وصدقه العمل). إن لهذا الانفصام عواقب وخيمة يمكن أن تولد أجيالا تتقن الحديث وتعجز في التطبيق، والمسلم في حقيقة أمره أقدر من غيره على المبادرة للتطبيق لأنه يؤمن بالتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب وتبقى النتائج في علم الغيب لا يحاسب عليها من بذل وسعه وتبصر بواجبه كما أمر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ويعتبر هذا الانفصام وليد عادات اجتماعية موروثة لا تستند إلى أصل ديني شرعي، وإلى ممارسات عجزنا على التحرر منها بل صوغنا لأنفسنا القيام بها ضنا منا انها من الإسلام، ولا يزال البعض منا يصر عليها ويجعلها قاعدة في العمل الإسلامي، ومن هذه الممارسات الخاطئة المتناقضة أضرب المثال التالي: لا يرى كثير من المسلمين المقيمين في الغرب حرجا من خروج المرأة للسوق وقضاء بعض المصالح الاجتماعية، ولكنه يضيق عليها ويحرمها من الاستماع إلى الموعظة الحسنة بحجة ضيق المكان وتفاديا للاختلاط، وكأنه يقول إذا استمع الرجل فذاك يكفي لتحقيق الواجب وتحسين الأوضاع. لماذا لا يتم التفكير عند بناء المسجد والجمعية والمركز في المرافق اللازمة لكلى الطرفين، أرجو ألا يكون الجواب: ضعف الإمكانات المادية حال دون تحقيق ذلك فليس هذا من العدل ومن فقه وظيفة المسلم والمسلمة في المجتمع. كما اني أرجو ألا أفهم خطأ، فأنا لا أدعو لعدم الالتزام بآداب الشرع لاسمح الله ولكن لفقه الواقع في ضوء الكتاب والسنة وسيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام وسيرة أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، فاللباس الشرعي مثلا وآداب اختلاط الرجل بالمرأة لم تدعو في يوم من الأيام لإقصاء جانب ما لإفساح المجال لجانب آخر أعطى لنفسه الأولوية المطلقة.

كما أن غياب الأخت المسلمة على الساحة -وإن كان ذلك نتيجة للنقطة السابقة- في حاجة إلى تصحيح، فإذا استطاعت الأخت المسلمة أن تقنع الرجل والزوج في توفير ما يلزم من توفير أدوات الزينة وما يلزم البيت من مرافق وأثاث ولباس، فبإمكانها بنفس الحزم والحكمة أن تفلح في فرض نفسها في المسجد كعاملة ومربية وشريكة في العمل. وإن كانت تطالب بحقها الشرعي كزوجة فعليها أن تطالب بحقها في بناء مستقبل الأمة وتأخذ بالأسباب التي تمكنها من تحقيق ذلك، فتشعر الرجل بأن لديها الكثير الذي يمكن أن تقدمه، واعتذارها بعدم تفهم الرجل لا يمكن أن يصوغ غيابها، فبإمكانها أن تكون داخل بيتها قدوة للرجل في المبادرة للعمل الصالح والقيام بالواجب حتى تستطيع بذلك فرض نفسها في مختلف جوانب الحياة وتكفل لابنتها في المستقبل نفس المكانة. إن غياب التكامل في العمل لا تقع مسئوليته على

الرجل وحده لأن الله سبحانه وتعالى خاطب كلى طرفين على حد السواء بقوله عز وجل: مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ .